" إن كبر ابنك خاويه "

من الأمور التي اعتدت عليها في فترة "الكورونا"، هو موضوع رياضة السير، لتحريك الجسم بعد فترة من الخمول والكسل. هذا الأمر جعلني أخرج للسير في مسار محطة القطار القديمة. ومن الظواهر التي لاحظتها وجود الشباب، صغار السن بكثرة في هذه المنطقة. طبعًا ما يميز الشباب في هذه الفترة، قصّات الشعر "الغريبة" بالإضافة إلى البنطلونات الممزقة بمناطق معيّنة، بمنطقة الركبة وأحيانًا الفخذ.

المفروض أن هؤلاء الشباب أتوا لممارسة الرياضة وهي خطوة إيجابية بحد ذاتها ولكن لا. يجلس الشباب بمجموعات كبيرة، حيث تسمع قرقرة "الأراجيل" ويعلو الدخان منها بكثافة مصاحبًا بعلو الصوت والضجيج الملفت للانتباه. من جهة أخرى زمرة من الشباب تقودها مجموعة من الكلاب المخيفة، التي تشم المارّة بشكل مستفز بالإضافة إلى مجموعة أُخرى من الشباب عُراة الصدر، يتمرنون على أجهزة لياقة بدنية، وكل بدوره يستعرض عضلاته أمام الجميع. ما أصفه هنا هو عبارة عن مشهد يومي وليس حدث عابر.

هنا يحضرني قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: "لا تربّوا ابناءكم كما ربّاكم آباؤكم فإنهم ولدوا لزمان غير زمانكم". هل هذا الزمان هو ما قصده سيدنا علي؟! هل هكذا نريد أن نرى أولادنا؟ ما علاقة ذلك بالمثل السائر "إن كبر ابنك خاويه"؟

اعتقد أنّ علي بن ابي طالب كان يقصد بالتربية هنا العقليّة لا القيم، فالقيم تبقى كذلك ولا تفقد قيمتها لأنها مجموعة من الأخلاق الحسنة. أما العقليّة فهي طريقة التفكير التي يتعاطى بها الانسان مع واقعه، وما دام واقع الانسان متغيرًا دومًا فالحكمة تقتضي طريقة متغيّرة في التفكير أيضًا! السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل سنعطي أولادنا كامل

الحرية لاتخاذ القرارات المصيرية في حياتهم؟ ماذا بالنسبة للتصرفات والسلوك؟ وهنا أصل إلى المثل الذي طالما كنا نسمعه عندما كنّا نقسو على أبنائنا "ان كبر ابنك خاويه".

أنا بصراحة لا أوافق على هذا الأمر. ما معنى أن أخاويه؟ هل يعني الأمر أن أكون صديقه ندخّن سوية ونخرج للسهر معًا؟ هل يعني أن يفعل ابني ما يحلو له باسم الأخوّة و"الزمالة"؟ ابني سيبقى ابني واحترامه لي سيبقى طالما أنا أبوه. لا ننسى انّ شباب اليوم ما زالوا يعيشون في كنف العائلة، يعني الشاب منهم عايش ب "اوتيل خمسة نجوم" "فول بورد".

الأولاد بحاجة إلى النصح والإرشاد والتوجيه ولكن بنفس الوقت علينا أن نضع الحدود اللازمة لنضمن لهم حياة أفضل ومستقبلًا زاهرًا. لا شك أنّ التربية اليوم عملية صعبة جدًا والكثيرون لا يربّون بل يتركون الفرصة للزمن أن يفعل ذلك بدلًا منهم.

إنّ التربية تأخذ بالقدوة لا بالتنظير، بالنصيحة والكلام. فلا بد من الكلام أحيانًا، لا بد أن يفهم الأولاد ما الخطأ الذي ارتكبوه، عليهم أن يعوا قوانين البيت، آداب الطعام وآداب الطريق، كل هذا لا غنى عن الكلام فيه، ولكن تبقى المواقف أبلغ أثرًا، وأصدق من كل الكلام.

النبل يقتضي أن تحكم على التصرف بالخطأ والصواب بغض النظر عمّن قام به، فالخطأ خطأ ولو قام به من نحبه، والصواب صواب ولو قام به من نكرهه. كل سلوك سيء نراه ولا نحرّك لتغييره ساكنًا مع امتلاكنا القدرة لذلك نحن شركاء فيه.

كما اعتدت عليه دومًا أودّ أن أختم حديثي بطرفة **"ضاع لرجل ولد فجاءوا بالنوائح ولطموا عليه، وبقوا على ذلك أيامًا، فصعد أبوه يومًا الغرفة فرآه جالسًا في زاوية من زواياها فقال: يا بني، أنت بالحياة؟! أما ترى ما نحن فيه؟ قال: قد علمت، ولكن ها هنا بيض قد قعدت مثل القرقة عليه. ما**

يمكنني أبرح. أريد فريخات. أنا أحبهم. فطلع أبوه إلى أهله فقال: قد وجدت ابني حيًّا، ولكن لا تقطعوا اللطم عليه؛ ألطموا كما كنتم"

الحياة تضعنا كل يوم في اختبار تكون فيه قيمنا ومبادئنا على المحك وما أكثر الراسبين وأقل الناجحين!

دمتم بكل الخير

09-04-2021

أ.أيمن جبارة